المحاضرة الثامنة
الفلسفة الإسلامية

اعتاد الباحثون في دراسة الفلسفة الإسلامية على اعتبارها تشمل المباحث الآتية:
علم الكلام ـ الفلسفة الإسلامية المرتبطة بالتجربة اليونانية ـ التصوف الإسلامي.

أولا: علم الكلام:

لقد جاء الدين الإسلامي عقيدة وعمل، فالعمل هو ما يؤديه الفرد المسلم من حركات خلال زمن معين وفي مكان ما، كالصلاة والصوم والزكاة والخمس والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهو ما يسمى فروع الدين والعلم الذي يختص بدراسته يسمى علم الفقه، والشخص الذي يهتم بدراسته يسمى الفقيه. وعرفوا بالمذاهب الفقهية كمذهب الإمام الصادق وأبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل والطبري والأوزاعي وغيرهم.

أما العقيدة فهو ما يتركز في ذهن الفرد كالاعتقاد بأن الله واحد، وأنه يبعث الأنبياء، ويبعث من في القبور ...الخ. من المسائل التي تعرف باسم أصول الدين الإسلامي، والعلم الذي يختص بدراستها يسمى علم الكلام، والشخص الذي يدرسه يقال له (المتكلم)، وعرف إتجاهه الفكري بالفرق الكلامية كالخوارج والإمامية والمرجئة والقدرية والمعتزلة والأشاعرة وغيرها.

أسماء علم الكلام: لقد أطلق على هذا العلم أسماء متعددة منها:

أـ الفقه الأكبر: أسماه بذلك أبو حنيفة تمييزا له عن علم الفقه الذي يختص بالأمور العملية (الصلاة والصوم والزكاة وغيرها)، ويلاحظ أن كلمة الفقه تعني (العلم) فتسميته بالفقه الأكبر أي العلم الأكبر أي أكبر من علم الفقه لأنه يدرس علوم العقائد كالتوحيد والنبوة والمعاد.

ب ـ علم التوحيد والصفات: إن أهم مباحث علم الكلام تدور حول الله وصفاته، لذا سمي الكل بأشرف أجزاءه.

ج ـ علم أصول الدين: لأنه يهتم بدراسة أصول الدين وهي التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد.

د ـ علم النظر والاستدلال: لاعتماده على الاستدلال العقلي وليس على النصوص والنقل فقط، يقول أحد المتكلمين: (نحن مع الدليل اينما يميل نميل).

هـ ـ علم الكلام: هو الاسم الذي اشتهر به وقد اختلف في سبب تسميته هل يعود للكلام الإنساني؟ أو لأنه علم قائم على المناظرة (الجدال)؟ أم نسبته إلى كلام الله (القرآن) لأن مسألة خلق القرآن من أهم المسائل التي نوقشت في إطار هذا العلم، وهو الرأي الأرجح.

أسباب ظهور علم الكلام: هناك نوعان من العوامل التي أدت إلى ظهور علم الكلام في الفكر الإسلامي، أولها خارجية من خارج الدولة الإسلامية، وثانيها داخلية من داخل جسم الدولة.

أولا: العوامل الخارجية: من المعروف بأن النبي محمد (ص) تميز عن سائر الأنبياء بكونه نبيا أميا ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)) وقوله تعالى((وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا))، لذلك بدأ النبي (ص) مراسلة ملوك عصره يدعوهم للإسلام، لكن النبي (ص) سرعان ما توفي والإسلام لم ينتشر إلا في وسط الجزيرة العربية واليمن فيما بقي شرق الجزيرة وشمالها بعيدا عن دولة الإسلام، فبدأت حركة الفتوحات الإسلامية، وكان المسلمون يضعون أمام أهل البلد ثلاث شروط: (١) الدخول في الإسلام فيكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، (٢) إذا كانوا أهل كتاب (يهود أو نصارى مثلا) أو لهم شبهة كتاب (الزرادشتيون مثلا) فيجوز لهم دفع الجزية والبقاء على ديانتهم، (٣) اذا تم رفض ذلك فالقتال.

إن هذه الفتوحات أدت إلى أن ينضوي تحت حضيرة الدولة الإسلامية شعوب كثيرة لها ديانات وحضارات وعادات وتقاليد يصعب تركها ونسيانها، فأصبحت تشكل عدوا داخل الدولة، فدخلت بصراع فكري مع الدولة الإسلامية. من هنا جاء علم الكلام وليد صراع فكري بين المسلمين وبين الديانات الأخرى الذين كان لهم كتاب أو شبهة كتاب.

أولا: الإسلام واليهود: مع أن الإسلام واليهودية تلتقي في التوحيد والنبوة، إلا أن مفهومهما يختلف عند الاثنين من جانبين: الأول: أنه ارتبط عند اليهود بما جاء في التوراة (إن الله خلق آدم

على صورته)، لذلك اعتقدوا أن الله على هيأة الإنسان ذو حجم وأعضاء وتصف التوراة الله بأنه يتعب ويحزن ويمشي ويتأسف ويبكي ويأمر بالسلب والنهب، وهو يجلس على كرسي أبيض اللحية والرأس، ثم أنه يمضي ثلاثة أرباع الليل يزأر كالأسد نادبا على خراب بيته واحراق الهيكل. أما تصوير الإسلام لله سبحانه وتعالى، فالله ليس بجسم ولا صورة ولا لحم ولا دم، وهو منزه عن صفات المخلوقين (ليس كمثله شيء)، ومن هنا إتهم المجسمة بتأثرهم باليهود. ويروى عن الإمام علي (ع) أنه قال: (التوحيد الأ تتوهمه)، أي لا تخلق صورة لله في ذهنك من الوهم فهذا خلاف التوحيد.

الثاني: إن الالوهية عند اليهود خاصة بهم فظهرت عندهم فكرة شعب الله المختار، فالله إله لليهود، فليس من حق غير بني إسرائيل اعتناق اليهودية. أما في الإسلام فالدين الإسلامي دين أممي عالمي والناس فيه سواء.

أما في النبوة فقد أنكر اليهود إمكانية نسخ الشرائع، لذا فشريعة موسى باقية الى الأبد وانكروا نبوة النبي عيسى ومحمد (ص). بينما في الإسلام فالإسلام يعتقد بنبوة جميع الأنبياء (لا نفرق بين أحد من رسله)، إلا أنه في الإسلام أن جميع الشرائع السابقة قد نسخت، ويجب الرجوع للشريعة الإسلامية لأنها أكمل الشرائع وأتمها (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا).

<u>ثانيا: الإسلام والمسيحية</u>: من أهم المسائل الخلافية، فكرة الأقانيم الثلاثة (الأب والأبن وروح القدس)، حيث نفى القرآن ذلك، وأكد على وحدانية الله ((لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ)) سورة المائدة(٧٣)، وكذلك الخلاف حول نهاية السيد المسيح، ففي الوقت الذي يرى النصارى أنه صلب، لكن القرآن رفض ذلك، فرد على اليهود ((وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)). سورة النساء (١٥٧ ـ ١٥٨).

<u>ثالثا: الإسلام والديانات الفارسية:</u> إن الاختلاف بينهما وإن كان عقائديا حول الإلوهية بين التوحيد والتشبيه، إلا أنه في منشأه أخلاقي يعود لمحاولة تفسير أصل الشرونشأته، فهل يمكن نسبة الشر للإله الواحد مع عدله؟ أو إلى موجود آخر فكان الفرس يرون وجود إلهين، إله الخير(أهورامزدا)، وإله للشر (إهريمن)، فكان على متكلمي الإسلام إيجاد تفسير إسلامي لتفسير الشر هل ينسب إلى الله أم إلى إبليس؟ لذا أكد المسلمون على أصل العدل ووضعوا نظريات في (اللطف الإلهي) و(الصلاح والأصلح على الله) لتفسير أصل الشر.

<u>رابعا: الإسلام والصابئة:</u> قالت الصابئة بإلوهية الكواكب، وأعطت التنجيم أهمية في إدراك المعرفة، فاصطدم ذلك بالعقيدة الإسلامية، التي تنفي إلوهية الكواكب، وتؤكد على النبوات، وتنكر اعطاء دور كبير للتنجيم.

<u>الإسلام والهندوسية:</u> أكدت الديانات الهندوسية على (تناسخ الأرواح) وإنكار يوم القيمة، والثواب والعقاب الأخروي، وأنكرت النبوات، فكانوا يرون أن الثواب والعقاب دنيوي وذلك بانتقال الروح لجسد أفضل أو أدنى، فإذا انتقلت من إنسان لإنسان يسمى نسخ، أما إذا لحيوان فيقال له مسخ، وإلى نبات يقال له رسخ، فكان على متكلمي الإسلام التأكيد على بعث الأنبياء، وإثبات الثواب والعقاب الأخروى (الجنة والنار).